المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

تتنوع الأقاليم وتكثر المدن، تتقارب وتتباعد، ولكن القليل منها ما قدر له أن يترك صفحات خالدة في التاريخ، ومن هذه الأقاليم إقليم آسيا الصغرى أو الأناضول (بلاد الروم) [١]، ويمثل هذا الإقليم جزءًا من قارة آسيا ومنها اتخذ اسمه، ويكون الجزء الرئيسي من دولة تركيا الحديثة، ويمتد من البحر الأسود في الشمال إلى البحر المتوسط في الجنوب، ومن بحر إيجة غربًا إلى نهر الفرات شرقًا، ويفصله عن شبه جزيرة البلقان وأوربا بوجه عام مضايق البسفور والدردنيل وبحر إيجه[٢].

وكان لإقليم آسيا الصغرى دورًا هامًا منذ فجر التاريخ، إذ شهدت أراضيه العديد من الحضارات والديانات، وكان طريقًا رئيسيًا ربط بين الشرق والغرب، عبرته العديد من الجيوش والهجرات على مر العصور، وسلكته القوافل تحمل المتاجر والحاصلات، إلى جانب الثقافات والفنون وغير ذلك من ألوان الحضارة بين العالمين[٣].

ولم يقتصر دور إقليم آسيا الصغرى على الحقبة التاريخية القديمة فقط، وإنما لعب هذا الإقليم دروًا هامًا ومؤثرًا في فترة العصور الوسطى وبصفة خاصة عندما غدا طريقًا للجيوش الصليبية التي خرجت من الغرب الأوربي لغزو الأراضي المقدسة[٤].

وهذا الكتاب الموجود بين أيديكم الآن فى الحقيقة كان رسالتي لنيل درجة الماجستير في تاريخ العصور الوسطى من كلية الآداب بجامعة القاهرة سنه ٢٠٠١م، وتجدر الإشارة إلى أن أهم العوامل التي شجعتنى إلى الاهتمام بإقليم آسيا الصغرى هو

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن التسميات العديدة لإقليم آسيا الصغرى:

Georgacas, J.D., The Names for the Asia Minor Peninsula and A Register of Surviving Anatolian Pre-Turkish Placenames, (Heidelberg 1971)

(2)Osward, M., Asia Minor, With 160 Pictures in Photogravure, 8 Colour Plates,(London 1963), P. 13. The Oxford Dictionary of Byzantium, 1 (Oxford 1991), P. 205; The New Encyclopedia Britannica, 1 (U.S.A 1998), P. 374.

(٣) لمزيد من التفاصيل حول آسيا الصغرى ودروها على مر العصور التاريخية:

Georgacas, Names, pp. 24-26; Ottin, M., Land of Emperors and Sultans: The Forgatten Cultures of Asia Minor, (London 1964); Ramsay, M.W., The Historical Geography of Asia Minor, (Amsterdam 1962), p. 23 N.E.B., I, p.374.

(4)Osward, Asia Minor, pp.13, 22

الدور المؤثر الذي لعبه هذا الإقليم في فترة زمنية من أهم فترات تاريخ العصور الوسطى ألا وهي فترة الحروب الصليبية، وقد وضعت نصب عيني عدة تساؤلات حاولت الإجابة عليها فى هذا الكتاب من أهمها، هل كان التهديد السلجوقي لآسيا الصغرى سببًا ساهم في قدوم الصليبيين إلى الشرق؟ وهل كان لهذا الإقليم من الأهمية عند الأباطرة البيزنطيين ما جعله عاملاً محددًا للعلاقة بينهم وبين الحشود الصليبية التي أخذت تعبر أراضيهم إلى بيت المقدس، وما هي الوسائل التي أتخذها هؤلاء الأباطرة لضمان قيام القادة الصليبيين بإعادة الأراضي التي يستولون عليها في آسيا الصغرى؟ وفي النهاية هل كان لمقاومة السلاجقة في آسيا الصغرى وطبيعة هذا الإقليم دور في فشل الحملات الصليبية التي مرت بأراضيه، أم أن مرورها كان مرورًا هادئًا لم تكتنفه أي صعوبات وصلت بعده الحشود الصليبية إلى الأراضي المقدسة في كامل قوتها وتمام عدتها؟

ومما دفعني أيضًا لتناول هذا الموضوع هو عدم وجود مؤلفات تتناول آسيا الصغرى وأهميتها في تاريخ الحروب الصليبية، إذ لم يلتفت إلى هذا الدور الفعال الذي لعبه هذا الإقليم في تلك الفترة الهامة وإنما تم الاهتمام فقط بالدولة التي أقامها السلاجقة في آسيا الصغرى وعلاقتها بالقوى الإسلامية والبيزنطية المعاصرة[١].

وقد تم تقسيم الكتاب إلى أربعة فصول تسبقهم مقدمة وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع.

ويتناول **الفصل الأول** الذي يحمل عنوان آسيا الصغرى وقيام الحركة الصليبية، أوضاع آسيا الصغرى قبل قدوم الصليبيين إلى الشرق، وبداية الهجوم السلجوقي عليها وما تلاه من حدوث موقعة مانزيكرت[٢]، وما ترتب عليها من اجتياح السلاجقة لآسيا الصغرى وسيطرتهم على أراضيها، وعجز الأباطرة البيزنطيين عن التصدي لهذا الغزو

---

(٢) تجدر الأشارة هنا الى مقال Sayar عن امبراطورية السلاجقة فى اسيا الصغرى:
Sayar,I.M.,The Empire of The Salcuqids of Asia Minor,J.N.E.S.10,No4. (oct., 1951) pp 268-280.
(2) Hillenbrand, C., Turkish myth and Muslim symbol The battle of Manzikert, Edinburg University, (2007).

الكاسح، وكيف أدى ذلك في النهاية إلى استنجاد الإمبراطور الكسيوس الأول كومنين Alexius I Komnenos (١٠٨١-١١١٨م) بالغرب الأوربي لإنقاذ دولته من التهديد السلجوقي بصفة عامة وطرد السلاجقة من آسيا الصغرى بصفة خاصة، تلك الدعوة التى تلقفها البابا أوربان الثاني وحاول استغلالها لشن الحرب الصليبية **ضدالإسلام والمسلمين؛ بحجه نصره المسيحيين فى الشرق والدفاع عن الأراضى المقدسة.**

أما الفصل الثاني وعنوانه «دور آسيا الصغرى في السياسة البيزنطية تجاه الحروب الصليبية»، فقد تمت الإشارة في بدايته إلى ما يمثله إقليم آسيا الصغرى من أهمية لدى الدولة البيزنطية، وركزنا فيه على ما لعبه هذا الإقليم من دور مؤثر في سياسة الكسيوس تجاه قادة الجيوش الصليبية التي مرت بأراضيه منذ حشود حملة العامة حتى حملة سنة **٤٩٤**هـ/**١١٠١**م، من خلال انتزاعه قسم الولاء والإخلاص من القادة الصليبيين؛ لضمان إعادة أراضيه المغتصبة بواسطة السلاجقة، ثم سياسة الإمبراطور مانويل الأول كومنين Manuel I Komnenos (**١١٤٣-١١٨٠**م) الذي سار على نفس الدرب تجاه قادة الحملة الصليبية الثانية؛ لإعادة الأراضي الأسيوية للدولة البيزنطية، وأخيرًا موقف الإمبراطور إسحاق الثاني أنجيلوس Isaac II Angelos (**١١٨٥-١١٩٥**م) من حملة الإمبراطور فردريك بربروسا Frederick Barbarossa الذي يمثل منعطفًا خطيرًا وتحولًا كبيرًا في السياسة البيزنطية تجاه الحروب الصليبية، بعد أن فقدت آسيا الصغرى أهميتها لدى الدولة البيزنطية بعد هيمنة السلاجقة على معظمها، وضياع كل أمل في استردادها نتيجة معركة ميريوكيفالون سنة(**٥٧٢**هـ/**١١٧٦**م)، ومن ثم لم يعد هناك أي مبرر لتقديم المساعدة البيزنطية للصليبيين، بل إن إسحاق نفسه وضع العوائق والعقبات أمام الجيش الألماني أثناء عبوره أراضيه.

ثم ناقش الكتاب مدى مسئولية الأباطرة البيزنطيين عما وقع للصليبيين من صعوبات وهزائم في آسيا الصغرى وهل قام هؤلاء الأباطرة بخيانة الصليبيين في هذا الإقليم، أم أن فشل هذه الحملات يعود إلى ظروف وطبيعة إقليم آسيا الصغرى وكذلك السلاجقة الذين لعبوا الدور الحاسم في القضاء على هذه الحملات.

وبعد ذلك خصصنا الفصليين التاليين من الكتاب للحديث عن صعوبة آسيا

الصغرى كطريق لعبور الجيوش الصليبية إلى الشرق[1]، والذى اعترضهم فيه الكثير من الصعاب والمشاق، ووقف السلاجقة لهم بالمرصاد. ومن ثَم جاء **الفصل الثالث** ليتناول الصعوبات التي واجهت الحملة الصليبية الأولى أثناء عبورها هذا الإقليم، وكذلك الصعوبات التي واجهت حملة سنة (**١١٠١م**) والتي انتهت بالقضاء عليها في آسيا الصغرى.

وفي النهاية جاء **الفصل الرابع** ليثبت لنا دور آسيا الصغرى في فشل الحملة الصليبية الثانية بعد أن تكبدت أفدح خسائرها على أراضي هذا الإقليم، ونهاية أحد جيوش الحملة الصليبية الثالثة الذي اتخذ الطريق البري عبر آسيا الصغرى بقيادة الإمبراطور فردريك بربروسا بعد غرقه في أحد أنهار آسيا الصغرى، وعودة معظم من بقي من جيشه الضخم إلى وطنهم.

ثم زودنا الكتاب **بخاتمة** ضمت أهم القضايا وأبرز الاستنتاجات التي توصلنا إليها، وعدد من الملاحق تتصل اتصالًا وثيقًا به وتؤكد وجهة نظرنا في بعض قضاياه، وفي النهاية قائمة بالمصادر والمراجع العربية والأجنبية.

وختامًا لا يسعني إلا أن أتقدَّم بخالص شكري وعظيم امتناني إلى أستاذي الفاضل المؤرخ الكبير والمعين الذي لا ينضب، الأستاذ الدكتور/ سعيد عبد الفتاح عاشور – رحمه الله–، أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة القاهرة، ورئيس اتحاد المؤرخين العرب؛ لإشرافه ومراجعته هذا الكتاب، فجزاه الله عني وعن العلم وأهله خير الجزاء، كما يصير الشكر واجبًا لأستاذين جليلين وهما: الأستاذ الدكتور/ إسحاق عبيد أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة عين شمس؛ لتفضله بمراجعة هذا العمل، وكذلك أيضًا للأستاذة الدكتورة/ ليلى عبد الجواد –رحمها الله– أستاذ تاريخ العصور الوسطى، ورئيس قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة القاهرة؛ لإشرافها على هذا العمل ولتشجيعها المستمر لي على مواصلة البحث، ولتذليلها الكثير من الصعاب أمامي، فجزاها الله عني خير الجزاء ولسيادتها مني تحية تقدير وعرفان بالجميل.

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن آسيا الصغرى كطريق للوصول إلى الشرق انظر:

Anderson, J.G.C., The road-system of Eastern Asia Minor with the evidence of Byzantine campaigns. J.H.S., 17(1897), pp., 22-44.

كما اتقدم بخالص شكري وتقديري إلى الأب منصور مستريح بدير الآباء الفرنسيسكان؛ لما قدمه لي من مساعدات كبيرة في ترجمة العديد من المصادر عن اللغة اللاتينية. ولا يفوتني في هذا المقام أن أتوجه بالشكر والتقدير إلى الزميل الفاضل الدكتور/ عبد العزيز رمضان؛ لما قدمه لي من مراجع وآراء قيمة أثرت هذه الدراسة، وكذلك أتقدم بالشكر إلى كل من وقف إلى جواري وقدم لي يد العون والمساعدة.

وفي الختام أتمنى أن أكون وُفِّقت في إنجاز عمل مفيد للقارئ.

عرض وتحليل لأهم مصادر البحث

تطلب موضوع البحث في تاريخ آسيا الصغرى والحروب الصليبية الرجوع إلى العديد من المصادر اللاتينية، هذا بالإضافة إلى بعض المصادر العربية والأرمينية والسريانية؛ سعيًا وراء تقديم الحقيقة التاريخيةللقارئ،وقد تمَّ الاعتماد على المصادر الأجنبية:(اللاتينية – اليونانية) في المقام الأول، بالنسبة لمصادر البحث التي أمدت الباحثة بفيض غزير من المعلومات لكشف دور آسيا الصغرى في هذه الحقبة التاريخية الهامة، ويأتي على رأس المصادر اللاتينية رواية أودو أف دويل Odo of Deuil عن حملة الملك الفرنسي لويس السابع Louis VII إلى الشرق(١). وكان أودو سكرتيرًا وواعظًا للملك أثناء حملته الصليبية، كما أنه كان راهبًا في دير القديس دنيس St. Denis، الواقع شمال مدينة باريس، ويبدو أنه أحرز ثقة كبيرة ومكانة هامة في هذا الدير، وقد صاحب لويس في حملته، ثم عاد إلى ديره ، واستمر هناك حتى وفاة شوجير SUGER فتولى هو رئاسة الدير(٢)، وقد ذكر أودو أن الهدف من قيامه بتدوين أخبار هذه الحملة هو إعجابه بلويس السابع ، وليظهر كذلك لشعبه سوء الحظ والصعوبات التي واجهها الفرنسيون أثناء حملتهم ليستفيدوا منها إذا رغبوا في القيام بالرحلة إلى الشرق(٣).

ويعد مؤلف أودو عن حملة لويس السابع الصليبية مصدرًا رائعًا لهذه الحملة، إذ

---

(1)Odo of Deuil, De Profectione Ludovici VII in Orientem, ed & English Trans. Berry, V.G., (New York, 1948).

(2)Odo of Deuil, De Profectione, pp. 14-15؛ Topping, P. "Eudes De Deuil", Sp, 26 (1951) p. 385.

(3)Odo of Deuil, De Profectione, pp. 17-18 ؛ Topping, Eudes, p. 386.

كان شاهد عيانٍ ومشاركًا فيها، ومن ثم كانت لديه فرصة طيبة للحصول على المعلومات مباشرة، والمشاركة في سير الحملة والمعاناة من صعوبات الرحلة، فقد اقترب من الملك الفرنسي وحصل على معلومات لا يمكن إحرازها إلا بالاتصال فقط بالملك، فقد كان عادة يحضر المجالس التي تعقد بين الملك وقادته وكانت تتخذ فيها القرارات المصيرية بالنسبة لسير الحملة، كما أتيح له أيضًا الوصول للخطابات التي كانت تأتي للمعسكر الملكي، وسماع المناقشات الشفوية لهؤلاء السفراء، أو مصاحبته للملك في زياراته الخاصة مثل جولته داخل القسطنطينية بصحبة الإمبراطور مانويل التي حرمت منها الغالبية العظمي من الجيش الفرنسي(١).

أما الأحداث التي لم يشاهدها أودو بعينيه، فقد حصل عليها من شهود العيان مثل روايته عن هزيمة الجيش الألماني قرب ضوروليوم Dorylaeum (اسكى شهر)(٢)، وانسحابه إلى نيقية فقد أمدته بها السفارة الألمانية التي قابلت لويس السابع عند نيقية، وأيضًا من كونراد الثالث Conrad III نفسه(٣). فجاء بذلك وصفه دقيقًا وحيًا لحملة لويس السابع الصليبية منذ بدايتها وحتى وصولها إلى أنطاكية.

وبهذا يتضح لنا مدى أهمية هذا المصدر الذي كان صاحبه مشاركًا في هذه الحملة؛ فذكر العديد من تفاصيل الأحداث التي لم تذكرها المصادر الأخرى أو أشارت إلى بعضها بصورة عابرة، فذكر حوادث عنف الألمان أثناء عبورهم الأراضي البيزنطية، كما انفرد بذكر شرط مانويل الخاص باسترداد الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى مقابل تقديم المساعدة البيزنطية للقوات الفرنسية أثناء عبورها، وتناول موقف الجيش الفرنسي من ذلك الشرط خاصة الحزب المعادي للدولة البيزنطية، كما أشاد أودو رغم عدائه للبيزنطيين بحسن معاملة الإمبراطور البيزنطي للملك لويس السابع واستمراره

---

(1)Odo of Deuil, De Profectione, pp. 18-19.

(٢) ضوروليوم، مدينة تقع في فريجيا، وتتحكم في الطرق الهامة الممتدة شمال آسيا الصغرى وجنوبها الشرقي والغربي، واحتلت مكانة هامة في الفترات البيزنطية، وشهدت هزيمة قوات قليج ارسلان الأول أمام صليبي الحملة الأولى.

Ramsay, Historical Geography, pp. 168, 212-213؛ Webster, N., Webster's New Geographical Dictionary, (New York 1922), p. 827.

(3)Odo of Deuil, De Profectione, p. 20.

في إمداد الفرنسيين بكافة احتياجاتهم رغم قيامهم ببعض حوادث التدمير في ضواحي القسطنطينية، كذلك انفرد بذكر تفاصيل حوادث العنف التي وقعت بين الفرنسيين والبيزنطيين بعد عبور الجيش الفرنسي إلى آسيا الصغرى، وما ترتب علي ذلك من قطع المؤن والإمدادات عن الفرنسيين، ثم ما حدث بعد ذلك من اتفاق بين الجانبين.

كما ذكر أودو العديد من المعلومات عن خط سير الجيش الألماني في آسيا الصغرى وهزيمته على يد السلاجقة، وتناول بالتفصيل كذلك خط سير الجيش الفرنسي في هذا الإقليم والصعوبات التي تعرض لها خاصة الهجوم السلجوقي عليه، ثم هزيمته على يد السلاجقة، وفي أثناء ذلك تحدث عن موقف حكام المدن البيزنطية في آسيا الصغرى من الجيش الفرنسي أثناء عبوره، واستمر أودو يقص ما وقع للقوات الفرنسية في آسيا الصغرى حتى رحيل لويس السابع من أضاليا Adaleia[1] إلى أنطاكية ومصير من بقى من جيشه في هذه المدينة، وغير ذلك من التفاصيل، ولكن يؤخذ عليه عدائه الدائم لمانويل والبيزنطيين واتهامه لهم بخيانة الصليبيين في آسيا الصغرى.

يضاف إلى ذلك بعض الحوليات الألمانية والتى قدمت العديد من المعلومات عن الجيش الألماني، كما أنها تعكس وجهة النظر الألمانية فيما يتعلق بالمساعدة البيزنطية، ويأتي في مقدمتها حوليات هيربيبولنس Annales Herbipolenses[2]وقد عاصر كاتبها الحملة الصليبية الثانية واعتمد في تدوين أخبارها على شهود عيان ومشاركين في الجيش الألماني الذين عادوا إلى وطنهم بعد فشل الحملة الصليبية الثانية، وشهد هؤلاء ما تعرض له الجيش الألماني من صعوبات في آسيا الصغرى انتهت بالقضاء عليه على يد السلاجقة، ودونت هذه الحولية في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي[3].

---

(١) أضاليا (أتاليا Attaleia، أنطاليا Antalya) مدينة وحصن كبير يقع جنوب آسيا الصغرى على ساحل البحر المتوسط، عظيمة المساحة وعامرة بالسكان، وكانت قاعدة للبحرية البيزنطية ومركز للتبادل التجاري مع قبرص والشرق. لمزيد من التفاصيل عن هذه المدينة:

وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة / حسن حبشي، ج٣، (القاهرة، ١٩٩٤)، ص ٢٨٧.

ابن بطوطه، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، (بيروت د.ت)، ص ١٩١؛ لسترنج (كي)، بلدان الخلافة الشرقية يتناول صفة العراق والجزيرة وايران وأقاليم آسيه الوسطى منذ الفتح الإسلامي حتى أيام تيمور، ترجمة/ بشير فرنسيس- كوركيس عواد، (بغداد ١٩٥٤)، ص ١٨٣-١٨٤.

O.D.B., I, pp. 228-229.

(2)Annales Herbipolenses, ed, Pertz, G.H., M.G.H.ss., 16, (Hanover 1859).

(3)Annales Herbipolenses, p. 1

وتحدثت هذه الحوليات عن نصائح مانويل لكونراد الثالث التي أوضح له فيها خطورة اختيار الطريق المار بالمنطقة السلجوقية في آسيا الصغرى، ورفض الملك الألماني نصائح الإمبراطور البيزنطي وأسباب ذلك، وأكدت هذه الحولية على معاملة مانويل الطيبة لكونراد الثالث بالرغم من تجاهله لنصائحه وتقديم الإمبراطور المرشدين للجيش الألماني؛ لإرشاده في آسيا الصغرى.

ثم أوضحت بعد ذلك الصعوبات التي تعرض لها الألمان بعد رحليهم من نيقية،واستعدادات السلاجقة لقتالهم، والعديد من التفاصيل عن معركة ضورولیوم التي انتهت بالقضاء على معظم الجيش الألماني، وانسحاب الأحياء منه إلى نيقية، وهجوم السلاجقة على هؤلاء البؤساء أثناء تراجعهم.

كذلك قدمت هذه الحولية العديد من المعلومات عما وقع لجيش أوتو الفريزي Otto Of Freising في آسيا على يد السلاجقة، والتي نقلها لكاتب هذه الحولية أحد رجال أوتو نفسه وكان قد نجا من قتل السلاجقة(١).

أما حوليات بيلدنس Annales Palidenses(٢) فهي بقلم راهب يدعى ثاودوروس Theodoros بدير بيلدنس، عاش في القرن الثاني عشر الميلادي، وتغطي أحداث حوليته الفترة الممتدة من ٣١٢-٥٧٥هـ/ ٩٢٤-١١٨٢م، وقد نقل معلوماته عن الفترة السابقة لعصره من العديد من المؤرخين الذين عاصروا هذه الأحداث مع بعض الإضافات التي تحمل أحيانًا وجهة نظره(٣).

وقد ذكرت هذه الحوليات أسباب عدم اتخاذ كونراد الثالث بنصائح مانويل، وأشادت في نفس الوقت بحسن معاملة مانويل للملك الألماني خاصة بعد عودته إلى القسطنطينية، والفترة التي قضاها هناك، وعدد الجيش الألماني، ومصير من عاد بعد هزيمة ضورولیوم إلى القسطنطينية.

أما حوليات ماجد بورجنس Annales Magdeburgenses(٤) فقد كتبها

---

(1)Annales Herbipolenses, p. 1

(2)Annales Palidenses, ed., Pertz, G.H., M.G.H.ss. 16, (Hanover 1859).

(3)Annales Palidenses, p. 48.

(4)Annales Magdeburgenses, ed., Pertz, G.H., M.G.H.ss, 16 (Hanover 1859).

أحد رهبان دير القديس يوحنا بمدينة ماجد بروجنس، وقد تناولت الأحداث التاريخية منذ السنة الأولى للميلاد حتى سنة(٥٨٤هـ/١١٨٨م)[١]، وأشارت هذه الحولية إلى الصعوبات التي واجهها الجيش الألماني في آسيا الصغرى، والهزيمة الساحقة في ضورولیوم، التي هلك فيها معظم الجيش الألماني، وما أعقبها من انسحاب إلى نيقية، وخسائر هذا الانسحاب، وأثر هذا على الجيش الألماني.

يضاف إلى ذلك عدد من المصادر اللاتينية التي تناولت حملة الإمبراطور فردريك بربروسا الصليبية، ويأتي على رأسها مصدران شديدا الصلة بعضهما بالبعض أمدا البحث بمادة علمية رائعة وفريدة لم نجدها بهذه الصورة في أي مصدر آخر، أولهما مؤلف أنسبرت Ansbert الذي يحمل عنوان تاريخ حملة الإمبراطور فردريك Historiade Expeditione Friderici Imperatoris[٢]، وقد صاحب أنسبرت فردريك في حملته ويتضح ذلك من خلال وصفه لأحداث الحملة وتفاصيلها، وغير ذلك من المعلومات التي لا يمكن معرفتها إلا لمن شارك فعلاً في هذه الحملة مثل: أسماء القادة المشاركين في الحملة الألمانية الذين ذكرهم في بداية تاريخه، ونص خطاب فردريك إلى ابنه هنري في ألمانيا، ويبدو أنه كان يكتب تاريخه هذا بأمر رسمي من فردريك نفسه الذي هدف توصيل المعلومات عن رحلته إلى الشعب الألماني، ومما يدل على ذلك أن أنسبرت لم يوجه إلى فردريك أي نقد أو لوم على أي تصرف أو عمل من أعماله. ومن المحتمل أن يكون أنسبرت ترك الجيش مباشرًا بعد وفاة فردريك، إذ أنه يتوقف بتاريخه عند هذا الحدث ولا يصف لنا أي شيء وقع بعد ذلك، وربما كان من المبعوثين الذين أرسلوا لإبلاغ هنري في ألمانيا موت أبيه[٣].

وأمد هذا المصدر البحث بالكثير من المعلومات عن جيش فردريك، فتحدث بالتفاصيل عن العلاقة بين إسحاق وفردريك أثناء عبور الجيش الألماني الأراضي

---

(1)Annales Magdeburgenses, p. 105.

(2)Ansbert, Historia deExpeditione Friderici Imperatoris, ed., Chroust, A., M.G.H. SRG., N.S., 5, (Munch 1989).

(٣) لمزيد من التفاصيل عن أنسبرت وتاريخه:

Absbert, Historia , pp. 7-80

البيزنطية، وكيف أن إسحاق لم يلتزم بتعهداته للإمبراطور الألماني، وأطنب في ذكر العوائق التي وضعها إسحاق في طريق الجيش الألماني، ووصف لنا رد فعل فردريك على ذلك، واستيلائه على المدن البيزنطية الواحدة تلو الأخرى.

وينفرد أنسبرت بذكر نص خطاب فردريك إلى ابنه هنري، هذا بالإضافة إلى فيض من المعلومات الهامة عن خط سير الجيش في آسيا الصغرى بصفة يومية، وفي كل مدينة على حدة منذ عبوره البوسفور ثم سيره في المنطقة البيزنطية والسلجوقية في آسيا الصغرى، والصعوبات التي اعترضت طريقه، وهجوم القبائل التركمانية والسلاجقة عليه والمعارك التي وقعت بين الطرفين، واستيلاء فردريك على قونية والاتفاق بينه وبين قليج أرسلان الثاني، ثم ما وقع للجيش الألماني من أحداث بعد قونية، وختم حديثه بوفاة فردريك.

أما المصدر الثاني الذي يحمل عنوان تاريخ الحجاج Historia Peregrinorum[1] فهناك من يرى أن انسبرت هو مؤلف هذا العمل أيضًا، في حين يرى البعض الآخر أنه من تأليف شخص آخر والدليل على ذلك اختلاف اللغة والأسلوب وطريقة العرض، فالمؤرخ أنسبرت يصف الأحداث من منظوره ويحكى بلسان الوصف، أما صاحب تاريخ الحجاج فأسلوبه علمي وثائقي أكثر منه وصف، فهو يقدم المعلومة التاريخية بصورة مكثفة ومباشرة أكثر من الوصف والسرد[2].

وكاتب تاريخ الحجاج شخص مجهول عاصر أحداث حملة فردريك لكنه لم يشارك فيها، وربما كان راهب في أحد الأديرة الألمانية، واعتمد في كتاباته على شهود العيان الذين عادوا من جيش فردريك بعد وفاته، وكان واسع الثقافة ، مغرمًا بالأسلوب البلاغي في الكتابة، ينتقي ألفاظه ويكتب أبيات من الشعر ، لكن ذلك لم يشغله عن السعي وراء الحقيقة التاريخية، كما أن تاريخه يمتاز بالبعد عن المبالغة، ونجده أيضًا ينتقد فردريك ويصف اتفاقاته سواء مع البيزنطيين أو مع السلاجقة بشئ من السذاجة،

(1)Historia Peregrinorum, ed., Chroust, A., M.G.H.SRG., N.S.,5, (Munch 1989).

(2)Ansbert, Historia, pp. 70-80

ويعجب ببطولة صلاح الدين وشجاعته، ويبدو أنه كان مترددًا وشبه مجبر على كتابة هذا العمل[١].

وقد أمدنا هذا المصدر بالعديد من المعلومات عن علاقة فردريك بإسحاق إنجيلوس، وكذلك عن خط سير الجيش الألماني في آسيا الصغرى والصعوبات التي تعرض لها، واختلف مع أنسبرت في بعض النقاط مثال ذلك: عندما اتهم أنسبرت البيزنطيين بعدم الالتزام باتفاقية أدريانويل[٢]، وإعداد حكام المدن البيزنطية في آسيا الصغرى القوات العسكرية للهجوم على الجيش الألماني، نجد صاحب تاريخ الحجاج يذكر أن هؤلاء لم يكونوا قوات بيزنطية نظامية، وإنما جماعات من اللصوص وقطاع الطرق، لكنه ركز على خيانة السلطان السلجوقي قليج أرسلان الثاني لفردريك. وانفرد بذكر العديد من المدن المدمرة في آسيا الصغرى نتيجة للهجوم السلجوقي، وكان أكثر تفصيلاً من أنسبرت في بعض الأحداث مثل حوادث عنف الجيش الألماني عند مدينة أدريانوبل وكذلك حديثه عن معركة قونية واقتحام المدينة.

يضاف إلى ذلك مؤلف هام كتبه جيوفري فينزوف Geoffrey Vinsovfs[٣]، وقد عاصر هذا الشخص أحداث الحملة وعاش معها خطوة بخطوة منذ بداية استعدادات فردريك لها وحتى وفاة الدوق فردريك-ابن فردريك بربروسا- في عكا سنة (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م)، ويعد هذا المؤلف من المصادر الأساسية لحملة فردريك؛ لتفصيلاته العديدة ولذكره الهزائم التي حلت بالجيش الألماني[٤].

وانفرد هذا المصدر بذكر السبب وراء اتخاذ فردريك الطريق البحري، وأمدنا بمعلومات عن أحداث مرور الجيش الألماني في الأراضي البيزنطية، ثم الهجوم

---

(1)Historia Peregrinorum, pp. 81-85

(٢) نسبة إلى مدينة أدريانوبل التي وقعت فيها الإتفاقية بين إسحاق انجيلوس وفردريك بربروسا، وهى مدينة في تراقيا تقع على الطريق الحربي العظيم الممتد عبر بلجراد- صوفيا- القسطنطينية.

O.D.B., I, p. 23

(3)Vinsovfs G., Itinerary of Richard I and Others to the Holy Land, (New York 1969).

(٤) عادل عبد الحافظ شحاته، العلاقات السياسية بين الإمبراطورية الرومانية المقدسة والشرق الإسلامي ١١٥٢-١٢٥٠م- ٥٤٧-٦٤٨هـ، (القاهرة ١٩٨٦)،ص ١٨-١٩.

السلجوقي المستمر على الجيش الألماني في آسيا الصغرى، والصعوبات التي تعرض لها أثناء سيره إلى قونية وخداع قليج أرسلان الثاني له، وأشار إلى أثر وفاة فردريك على جيشه.

ومن المصادر اللاتينية الهامة أيضًا كتاب ألبرت دي إكس Albert D'Aix، تاريخ بيت المقدس[1]، وكان ألبرت كاهنًا وأمينًا لخزانة مدينة إكس لاشابل الألمانية، ولم يذهب ألبرت إلى الشرق مطلقًا، لكنه اعتمد في كتابه جزءًا كبيرًا من تاريخه على روايات شهود العيان، وكان معظمهم من الفرسان والجنود الذين لهم دراية كبيرة بالأمور العسكرية، كما أنه اطلع على بعض المراسلات والمراسيم المتعلقة بالحملة الصليبية الأولى، ونقل كذلك عن أصول اندثرت ولم تصل إلينا[2].

ويتميز تاريخه بالتفصيل والدقة والشمولية ، وكتابته بأسلوب سهل مبسط، كما أنه يحتوى على العديد من المعلومات والبيانات التي لم ترد في أي مصدر غيره، ويقدم ألبرت لنا أيضًا الحقيقة التاريخية دون تحيز أو تنميق؛ ولذا يُعد مصدره من أفضل المصادر التي كتبت عن هذه الفترة المبكرة من الحروب الصليبية، لدرجة أن روايته تستحق أن تعامل كرواية شاهد عيان، ومما يدل على صحة وقيمة مصدره، أنه كان العمل الأساسي الذي استقى منه وليم الصوري معلوماته، وفاز كذلك بثقة المؤرخين المحدثين مثل أدوارد جيبون[3].

---

(1)Albert D'Aix, Historia Hierosolymitana, ed. R.H.C. – H.Occ., 4, (Paris 1879)

(٢) بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، نقله إلى الإنجليزية / جون هيوج هيل لوريتا.ل. هيل، نقله إلى العربية/ حسين محمد عطيه، (الإسكندرية ١٩٩٩)، ص ٢١، حاشية٣.

France, J., Victory in The East, A Military History of the Frist Crusade, (Cambridge 1996), p. 380.

جوزيف نسيم يوسف، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، (الإسكندرية ١٩٨٩)، ص ١١-١٣، السيد الباز العريني، مؤرخو الحروب الصليبية، (القاهرة ١٩٦٢)، ص٦٦.

(٣) بطرس توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢١، حاشية ٣.

France, Victory, p. 381.

رنسيمان (ستيفن)، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة/ السيد الباز العريني، ج١، (القاهرة ١٩٩٣)، ص ٤٩٣؛السيد الباز، مؤرخو الحروب الصليبية، ص ٧٩، ١٢٩.

وقد أمد هذا المصدر كتابنا ببعض المعلومات فيما يتعلق بالحملة الصليبية الأولى (نقلاً عن جون فرانس John France)، ولكننا اعتمدناعليه بصورة كبيرة فيما يتعلق بحملة سنة ١١٠١م، وقد انفرد ألبرت بذكر الكثير من التفاصيل-بالرغم من احتوائه على بعض المتناقضات- التي لم يذكرها أي مصدر آخر عن هذه الحملة، خاصة أيكهارد أف أورا Ekkhard of Aura، الذي كان شاهد عيانٍ ومشاركًا في هذه الحملة الصليبية، و لم يذكر سوى القليل عنها، فقد أمدنا ألبرت بمعلومات عديدة عن موقف الكسيوس كومنين من الجيش اللومباردي ونصائحه للومبارديين وتقديم المساعدات والمرشدين لهم، وأحداث الشغب التي قام بها هؤلاء في القسطنطينية. وتحدث كذلك عن ترحيب الكسيوس بوليم الثاني كونت نافار William II Count of Nevers[١]. ووليم التاسع دوق إكويتين – أقطانيا- William IX Duck of Aquitaine[٢]، وغيرهم من الفرق الفرنسية والألمانية التي وصلت إلى الأراضي البيزنطية بعد ذلك بقليل وانضمت إلى هذه الحملة.

ثم تحدث بعد ذلك عن عبور هذه الجيوش إلى آسيا الصغرى، وخط سيرهم هناك، والصعوبات التي تعرض لها كل جيش على حدة، وخطط السلاجقة للقضاء عليهم، والمعارك التي وقعت بين الجانبين، والقضاء عليهم في النهاية وغير ذلك من التفاصيل عن هذه الحملة الصليبية. ويتميز ألبرت بصفة خاصة عن غيره من الكتاب اللاتينين بعدم تحيزه للصليبيين، وفي أحيان كثيرة يذكر النصائح والخدمات التي قدمها

---

(١) نافار، مدينة هامة وسط فرنسا.

Webster, Geographical Dictionary, p. 827.

(٢) وليم التاسع، هو دوق اكويتين وكونت بواتييه وشاعر من شعراء التروبادور المشهورين، وقد رفض المشاركة في الحملة الأولى بسبب إدعاءات زوجته في مدينة تولوز Toulouse فاستغل غياب ريموند الرابع كونت تولوز Raymond IV Count of Toulouse وأستولى عليها، ولكنه شارك في هذه الحملة الجديدة، وكانت شخصيته تتسم بالتهور والطيش والمرح والاتيان بتصرفات لا تليق بمكانته ومركزه.

- لمزيد من التفاصيل عن وليم التاسع وأهداف مشاركته في الحملة:

Cate, J.L., "A Gay Crusader", B., 16 (1942-1943), pp. 504-5013.

- اكويتين، مدينة هامة في جنوب فرنسا واحتلت مكانة هامة في التاريخ الفرنسي.

-لمزيد من التفاصيل

Webster, Geographical Dictionary, p. 63.

الكسيوس لهم.

أما وليم الصوري وكتابه «تاريخ الأعمال التي أنجزت فيما وراء البحار»[1]، فقد كان عظيم الفائدة بالنسبة لموضوع البحث. ولد وليم في مدينة بيت المقدس سنة (٥٢٤هـ/ ١١٣٠م)، وبعد أن تلقى قدرًا من التعليم هناك تنقل بين مدن فرنسا وإيطاليا طلبًا للعلم، فدرس اللاهوت والفلسفة والرياضيات والقانون وغيرها من العلوم، وعاد إلى الشرق حيث تقلَّد عدة مناصب كان آخرها رئيس أساقفة مدينة صور، ومستشارًا لمملكة بيت المقدس، وكلفه الملك عموري الأول (١١٦٣-١١٧٤م) بوضع هذا الكتاب[2].

ويحتل مؤلف وليم مكانة كبيرة بين مصادر تاريخ الحروب الصليبية، كما أنه يغطي فترة طويلة تمتد حتى سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م)، وقد اعتمد وليم في كتابه تاريخ الفترة السابقة عليه على أعمال من سبقه من المؤرخين اللاتينين الذين كتبوا عن الحروب الصليبية، هذا بالإضافة إلى كتابات المؤرخين المسلمين الذين أمده عموري الأول بأعمالهم[3].

وتتصف كتابة وليم وأحكامه بالنزاهة والإنصاف، بحيث يمكن القول بأنه لم يخضع للتعصب العنصري أو الديني أو الطبقي على النحو الذي كان سائدًا عند غالبية الكتاب الغربيين المعاصرين، بل نجده أحيانًا يمدح بعض البيزنطيين وكذلك المسلمين، ويتسم أسلوبه بالتزام الدقة والروعة والجمال، إذ يعتبر من أحسن كتاب العصور الوسطى صياغةً وأسلوبًا، ونتيجة لهذا كله اعتبر عمله المصدر الوحيد لكل

---

(١) تم الاعتماد على الترجمة العربية التي قام بها حسن حبشي، وليم الصوري، الحروب الصليبية.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن وليم الصوري:

بطرس توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢٦ حاشية١.

نظير حسان سعداوي، ثلاثة من مؤرخي الحروب الصليبية، (القاهرة ١٩٥٧)، ص ٥-٨؛

المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي، (القاهرة ١٩٦٢)، ص٤٠-٤٦.

Krey, A.C., "William of Tyre, The making of An Historian in the Middle Ages", SP., 16 (1941), pp. 149-166.

(٣) عمر كمال توفيق، "المؤرخ وليام الصوري" مجلة كلية الآداب-جامعة الإسكندرية- ٢١ (١٩٦٧)، ص١٨١؛ حسين محمد عطيه، إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون ١١٧١-١٢٦٨م/ ٦٦٦هـ، (الإسكندرية ١٩٨٩)، ص ٣٦؛ السيد الباز، مؤرخو الحروب الصليبية، ص ١٢٨-١٢٩.

تاريخ القرن الأول من الحروب الصليبية[1].

وقد أمدنا بالعديد من المعلومات عن هذه الحملة بعضها يتعلق بحمله العامة، والبعض الآخر يتعلق بالجيوش النظامية وموقف الكسيوس من قادتها، وأحداث هذه الحملة في آسيا الصغرى والصعوبات التي واجهتها هناك، وكذلك مادة علمية غاية في الأهمية عن الحملة الصليبية الثانية، والصعوبات التي واجهت كونراد الثالث في طريقه إلى قونية، وهروب المرشدين البيزنطيين، واستعدادات السلاجقة للتصدي له، وهزيمته قرب ضورولويوم، والقضاء على معظم جيشه، وكذلك هزيمة لويس السابع، وأثر هذه الهزائم على قوة الحملة الصليبية.

واستفاد البحث أيضًا من كتاب المؤرخ المجهول أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس[2]. وصاحب هذا المؤلف فارس نورماني يتبع بوهيموند Bohemond، ويعتبر مصدره عن الحملة الصليبية الأولى من المصادر الأساسية التي لا غنى عنها لمعرفة تاريخ الفترة الممتدة من سنة (٤٨٤-٤٨٨هـ/١٠٩٥-١٠٩٩م)، فقد عاصر هذه الفترة وكان شاهد عيانٍ لمعظم أحداثها، ودون بعضها وقت حدوثها، ويمثل رأيه رأي المحارب العادي، وتمتاز روايته بالدقة، ومما يدل على ذلك رجوع العديد من المؤرخين -الذين جاءوا بعده وكتبوا عن هذه الفترة- إليه، أمثال روبرت الراهب، وبطرس توديبود[3].

وأمدنا هذا المصدر بمعلومات عديدة عن موقف الكسيوس من القادة الصليبيين، حتى أخذ منهم القسم والتعهد بإعادة الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى، وذكر وعود الكسيوس لهؤلاء القادة مقابل تعهدهم له، وتناول بالحديث أيضًا القضاء على حملة العامة في آسيا الصغرى، وحصار القادة الصليبيين لنيقية ومعركة ضورولويوم، وأشاد بمهارة السلاجقة القتالية في هذه المعركة، وأشار إلى مظاهر معاناة الصليبيين بعد معركة

---

(١) عمر توفيق، وليام الصوري، ص١٩٢؛ باركر (ارنست)، الحروب الصليبية، ترجمة/ السيد الباز العريني، (القاهرة د.ت)، ص ١٩٤.

(٢)المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة/ حسن حبشي، (القاهرة ١٩٥٨).

(٣) بطرس توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٨ حاشية١؛ جوزيف نسيم، العرب والروم، ص٢-٣؛ باركر، الحروب الصلبية، ص١٨٨؛ السيد الباز، مؤرخو الحروب الصليبية، ص٣٦

ضورولیوم وحتى وصولهم مدينة مرعش، ولكن يؤخذ عليه تحيزه ضد الكسيوس إذ يتهمه بالفرح عندما علم بكارثة حملة العامة على آسيا الصغرى.

هذا إلى جانب كتاب «تاريخ الحملة إلى القدس» لمؤلفه فوشيه الشارتري Fulcher de Charteres[1]، الذي ولد في مدينة شارتر الفرنسية، ثم أصبح كاهنًالهذه المدينة وحضر مجمع كليرمونت وذهب مع الحملة الصليبية الأولى إلى الشرق، وبعد عبور الجيش الصليبي آسيا الصغرى صاحب بلدوين Baldwin شقيق جودفري دي بوايون Godfrey de Bouillon، الذي انشق عن الجيش الرئيسي وزحف شرقًا عبر الفرات وأسس إمارة الرها الصليبية، وظل ملازمًا لبلدوين حتى انتقل إلى بيت المقدس بعد وفاة أخيه جودفري وتولى حكمها، وظل فوشيه هناك حتى وفاته عن عمرٍ يناهز الثمانية والستين عامًا[2].

وتحدث فوشيه عن أسباب ضرورة تعاون الصليبيين مع الكسيوس، وآثر ما وقع لحملة العامة في آسيا الصغرى على الجيش الصليبي النظامي، وانفرد بذكر هدف قليج أرسلان الأول (١٠٩٢-١١٠٦م) من المحاولة الهجومية على الصليبيين المحاصرين لنيقية، وكذلك أمدنا برواية حية رائعة عن معركة ضورولیوم من وجهة نظر الرجل العادي في المعسكر الصليبي، وانفرد أيضًا بذكر أسلوب القتال السلجوقي الذي أصاب الصليبيين بالفزع، وأمدنا كذلك بمعلومات عديدة عن المعاناة التي واجهت الصليبيين في آسيا الصغرى بعد ضورولیوم ، كذلك أشار فوشيه إلى ما وقع لحملة سنة (١١٠١م) من تدمير على يد السلاجقة، واستيلائهم على ثروات الصليبيين.

كذلك اعتمدنا فى تأليف هذا الكتاب على عدد من المصادر اليونانية، يأتي في مقدمتها كتاب «الألكسياد»للأميرة أناكومنينا، الابنة الكبرى للإمبراطور الكسيوس كومنين، التي ولدت سنة (٤٧٦هـ/١٠٨٣م)، وتزوجت من القيصر نقفور برينييوس، وخططت لحصول زوجها على العرش عند وفاة الكسيوس، وعلى أثر فشل هذه

---

(١) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس (١٠٩٥-١١٢٧م)، ترجمة من اللاتينية/ فرنسيس ريتا ريان، ترجمة إلى العربية/ زياد جميل العسلي، (الأردن ١٩٩٠).

(٢) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة، ص ١٠؛ السيد الباز، مؤرخو الحروب الصليبية، ص٣٨.

المحاولة انسحبت إلى الدير، وهناك كتبت «الألكسياد» الذي تناول حياة وانجازات أبيها الكسيوس كومنين[١].

واعتمدت أناكومنينا في كتابة مؤلفها على العديد من الحوليات التي وجدتها في الدير وكتبها الرهبان الذين خدموا كجنود في جيش الكسيوس، واعتمدت أيضًا في كتابها على المادة التي وضعها زوجها عن حياة والدها، كما اعتمدت على ما سمعته من والدها ووالدتها ورجال البلاط الذين عاصروا الأحداث، كما أن صلاتها العائلية قد ساعدتها في الوصول إلى العديد من الوثائق المحفوظة في الأرشيف الإمبراطوري من خطابات ومراسيم إمبراطورية، واطلعت أيضًا على مؤلفات العديد من المؤرخين السابقين مثل أتالياتس وغيره[٢].

ورغم تحيز أنا كومنينا لوالدها والصفة الملحمية لتاريخها، ووجود بعض الفجوات في معرفتها، إلا أن تاريخها يُعد دراسة جيدة، حاولت من خلالها بوضوح أن تخبرنا بالحقيقة وتكتب تاريخًا أكثر منه ملحمة، وكان العمل الأساسي لمعرفتنا لهذه الفترة المهمة التي شهدت استعادة بيزنطة لقوتها، ولقاء الدولة البيزنطية بالغرب الأوربي عبر الحملة الصليبية الأولى، وعلاقة الكسيوس بالقوى السلجوقية وغيرها من القوى المحيطة، وقدم لنا وجهة نظر بيزنطية معاصرة بالنسبة للحملة الصليبية الأولى، صححت ما جاء في المصادر الغربية المعاصرة من تعصب ضد الكسيوس[٣].

وتمَّ الاعتماد في الجزء الخاص بعلاقة السلاجقة بالدولة البيزنطية على الترجمة الإنجليزية التي قام بها Sewter، أما الجزء الخاص بالحروب الصليبية فقد تم الاعتماد فيه على الترجمة العربية التي قام بها سهيل زكار ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية[٤].

---

(1)Anna Comnena, The Alexiad, English Trans. Sewter, E.R.A., (London 1969), pp. 12-14

(2)N.E.B., I, p. 303.

(3)Anna Comnena, Alexiad, pp. 14-16.؛ Dictionary of the Middle Ages, (New York 1986). I, p. 303.؛Ostrogorsky, G., History of Byzantine state, English Trans. Hussey, J.M., (London 1957), p. 311.

(٤) أنا كومنينا، الالكسياد، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة/ سهيل زكار، ج٦، (دمشق ١٩٩٥).

وقد زود هذا المصدر كتابنا بمعلومات هامة عن تمرد نقفور برينيوس Nicephoros Bryennios[1]، وأوضاع الدولة البيزنطية أثناء ذلك، والاستعانة البيزنطية بالسلاجقة والمكاسب التي حققها هؤلاء من القضاء على تمرده، ثم تحدثْنا عن أحوال الدولة البيزنطية عند اعتلاء الكسيوس العرش الإمبراطوري، وتناولَتْ بالتفصيل علاقته مع الحاكم السلجوقي في نيقية سليمان بن قتلمش ومع خلفائه الذين شكل بعضهم خطورة كبيرة على الدولة البيزنطية، وأبرزَتْ أنا موقف الكسيوس من حملة العامة وقادة الجيوش النظامية ، وغير ذلك من المعلومات عن الحملة الصليبية الأولى، وأشارت أيضًا إلى موقف الكسيوس من الجيش اللومباردي، وما قدمه للومبارديين من نصائح ومساعدات، وخط سيرهم في آسيا الصغرى وهزيمتهم.

ومن المصادر اليونانية الهامة أيضًا مؤلف يوحنا كيناموس John Kinnamos الذي يحمل عنوان أعمال يوحنا ومانويل كومنين[2]، وولد كيناموس بعد سنة (٥٣٨هـ/١١٤٣م)، وتوفى بعد سنة (٥٨١هـ/١١٨٥م)، وينتمي لعائلة بيزنطية لامعة، وفي سن مبكرة التحق بالخدمة في البلاط الإمبراطوري وعمل سكرتيرًا خاصًا لمانويل، وصاحبه في الكثير من حملاته العسكرية، وأصبح من المقربين إليه فيقول «بأنه كان يناقش مسائل الفلسفة الأرسطية معه»[3].

ويعتبر كتاب كيناموس على جانب كبير من الأهمية خاصةً بالنسبة لعصر مانويل وأحداثه؛ ذلك لأنه كان شاهد عيانٍ للكثير من أحداث هذه الفترة، كما أنه كان -بحكم وظيفته سكرتيرًا إمبراطوريًا- قد اطلع على العديد من الوثائق الهامة المحفوظة بالقصر

---

(١) نقفور برينيوس، ينتمي لأسرة برينيوس الشهيرة التي لعبت دورًا هامًا في تاريخ الدولة البيزنطية خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي، وتولى أفرادها مهام الحكم والقيادة العسكرية وكان أبرزهم نقفور هذا حاكم مدينة دراخيوم الذي أعلن تمرده سنة ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م، وهو حفيد نقفور برينيوس زوج أنا كومنينا وكان قد شارك من قبل في موقعة مانزيكرت وخدم كحاكم لبلغاريا.

ولمزيد من التفاصيل عن نقفور برينيوس:

Ostrogorsky, Byz. State, p. 307؛ O.D.B., I., pp. 328—331.

(2)Kinnamos, J., Deeds of John and Manuel Comnenus, English Trans. Brand, Ch., (New York 1976).

(3)Kinnamos, Deeds, pp. 2-3؛ O.D.B., 2, p. 113.

أسمت غنيم، العلاقات البيزنطية الألمانية، أثناء الحملة الصليبية الثانية في ضوء وثائق كيناموس (الإسكندرية ١٩٨٨)، ص ٧.

الإمبراطوري ، وتمتاز كتابته بالدقة والمعرفة الواسعة، ويلاحظ فيها إعجابه الشديد بمانويل وأعماله العسكرية التي يضفى عليها كيناموس نوعًا من البطولة الأسطورية[١].

وقدم هذا المصدر العديد من المعلومات عن علاقة مانويل بالسلاجقة منذ بداية حكمه، والكثير من التفاصيل عن حوادث عنف الجيش الألماني أثناء عبوره الأراضي البيزنطية، وانفرد كيناموس بذكر الخطابات المتبادلة بين مانويل وكونراد الثالث أثناء عبور الملك الألماني أراضيه، والتي لم يشر إليها أي مصدر سواء كان يونانيًا أو لاتينيًا تناول الحملة الصليبية الثانية، وأشار أيضًا إلى علاقة مانويل بلويس السابع، ثم تحدث بعد ذلك عن عبور الألمان إلى آسيا الصغرى، وهزيمتهم على يد السلاجقة وعودة الملك الألماني إلى القسطنطينية، وغير ذلك من المعلومات الهامة عن الحملة الصليبية الثانية.

ولكن نلاحظ في حديث كيناموس عن الصليبيين كراهيته لهم، فهو على سبيل المثال يتهمهم بأنهم جاءوا للسيطرة على القسطنطينية، وإسقاط الدولة البيزنطية، فهذا هو هدف حملتهم.

أما نيقتاس الخونياتي Nicetas Choniates فقد ولد في مدينة خوناي Chonai[٢]سنة (**١١٥٥**م)، وفي التاسعة من عمره أرسله والده إلى القسطنطينية للدراسة، وبعد عدة سنوات التحق بالخدمة في البلاط الإمبراطوري كسكرتيرًا إمبراطوريًا، ولمع نجمه سريعًا تحت حكم أسرة إنجيلوس، وتولى العديد من المناصب الهامة منها: حكم مدينة فيليوبوليس Philippopolis[٣]، وأمين للخزانة. ولكن بعد

---

(١) أسمت غنيم، العلاقات البيزنطية الألمانية، ص ٧-٨.

محمود سعيد عمران، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل الأول **١١٤٣**-**١١٨٠**م، (الإسكندرية **١٩٨٤**)، ص**١٣**-**١٤**.

(٢) خوناي، مدينة في منطقة فريجيا بآسيا الصغرى، وكانت قاعدة وحصن لثيم تراقسيون Thrakesion وربما عاصمته.

O.D.B., I, p. 123.

(٣) فيلوبوليس، مدينة تقع شمال تراقيا، كان يحكمها نيقتاس أثناء عبور الحملة الصليبية الثالثة واعتبرها البعض من أعظم ثلاث مدن بيزنطية.

=

سقوط القسطنطينية على يد اللاتين سنة (٦٠١هـ/١٢٠٤م)، فقد خونياتس منصبه وممتلكاته ورحل إلى مركز الإمبراطورية الجديد في نيقية وظل هناك حتى وفاته[١].

ويتناول كتاب نيقتاس الخونياتي الفترة الممتدة من سنة (٥١٢-٦٠٣هـ/ ١١١٨-١٢٠٦م)، وأرخ فيه للأباطرة البيزنطيين الذين عاصروا هذه الفترة، وذيله بملحق يتناول الآثار التي دمرها اللاتين بعد الاستيلاء على القسطنطينية، ومن الواضح أن المناصب التي تقلدها نيقتاس مكنته من الاتصال بكبار رجال عصره، الذين كانوا يحركون الأحداث كالقادة العسكريين ورجال البلاط، والحصول منهم على المعلومات الهامة، هذا بالإضافة إلى أنه قد استقى بعض مادته من الروايات الشعبية التي تناقلها البعض، خاصة فيما يتعلق بعلاقة الدولة البيزنطية بالحملة الصليبية الثانية. وبالرغم من أن نيقتاس لم يراع التسلسل الزمني أو تحديد سنوات وقوع الأحداث، وميله للاستطراد إلا أنه قدم لنا مادة تاريخية طيبة في مجملها، ويُعد كتابه وثيقة تاريخية هامة لهذه الفترة[٢].

وقد أمد هذا المصدر الكتاب بالعديد من المعلومات عن هجمات السلاجقة على آسيا الصغرى منذ بداية عهد مانويل ورد فعله على ذلك، وتحدث عن موقف مانويل من الحملة الصليبية الثانية وقلقه من مشاركة كونراد الثالث في هذه الحملة، وما قام به من استعدادات لتأمين عاصمته، وأحداث مرور الجيش الألماني في الأراضي البيزنطية. وإذا كنا قد وجدنا كيناموس على عداء مع الصليبيين ومتحيزًا إلى جانب مانويل، نجد نيقتاس على العكس؛ فهو يتهم مانويل بأنه حرض السلاجقة على قتالهم.

وكذلك زود نيقتاس الخونياتي البحث بمعلومات هامة عن وضع الدولة البيزنطية في آسيا الصغرى بعد معركة ميريوكيفالون، وموقف إسحاق من فردريك وجيشه أثناء

=

لمزيد من التفاصيل عن هذه المدينة:

O.D.B., 3, pp. 1654-1655.

(1)Choniates, N., O City of Byzantium: Annales of Nicetas Choniates, English Trans. Magoulias, H., (Detroit 1984), pp. 10-11؛ Ostrogorsky, Byz. State, P. 312؛ D.M.A., I, pp. 133-134

(2)D.M.A., 2 p. 134.

سعيد عمران، السياسة الشرقية، ص ٨-١١.

عبوره أراضيه، وتطور العلاقات بين الجانبين حتى تم الاتفاق بينهما، وأشار إلى مرور جيش فردريك في آسيا الصغرى وتصدي السلاجقة له وانتصاره عند قونية، لكنه يشير إلى أن الألمان أقاموا معسكرهم خارج المدينة، ولم يدخلوها عكس ما ذكرته المصادر التاريخية الأخرى[١].

هذا إلى جانب عدد آخر من المؤرخين اليونانيين الذين استفاد البحث من كتاباتهم بصورة كبيرة، ومنهم جورج كدرينوس Georg Cedrenus[٢]، وهو مؤرخ بيزنطي عاش في القرن الحادي عشر الميلادي، ويغطي تاريخه الأحداث التاريخية منذ بدء الخليقة وحتى سنة (٤٤٩هـ/١٠٥٧م)، وقد اعتمد في أحداث الفترة السابقة عليه على من سبقوه من المؤرخين مثل ثيوفانس وغيرهم[٣]،وينفرد كدرينوس بذكر بداية الهجوم السلجوقي على منطقة أرمينية في آسيا الصغرى، وما أعقب ذلك من تنازل بعض حكام هذه المناطق عن ممتلكاتهم للأباطرة البيزنطيين، ثم يتحدث بعد ذلك عن الهجمات التي شنَّها السلاجقة على آسيا الصغرى، مثل حملات قتلمش والأمير حسن وإبراهيم إينال وغيرهم.

أما المؤرخ البيزنطي ميخائيل أتالياتس Michaelis Attliatae، فهو رجل من أسرة معتدلة، إلا أنه أحرز مكانة بارزة في البلاط الإمبراطوري، وتولى عدد من المناصب الهامة، فعمل كسناتور وقاضيًا عسكريًا، وحظى بالعديد من الألقاب، وكانت لديه ممتلكات واسعة في القسطنطينية و مدن أخرى[٤].

وإلى جانب تاريخه[٥] له عدة مؤلفات منها كتاب هام في القانون، واستفاد أتالياتس من وظيفته القضائية ومشاركته في الحملات العسكرية في كتابة تاريخه، فاتسم بالدقة والتفكير في أسباب الأحداث والتحليل، ولكن يؤخذ عليه تحيزه للإمبراطور نقفور

(1)Choniates, Annales. P. 228.

(2)Cedrenus, G., Historiarum Compendium, ed. Bekker, C.S.H.B., (Bonn 1839).

(3)O.D.B., 2, p. 1118.

(4)D.M.A., I, p. 304؛O.D.B., I, p. 229؛

(5)Attaliatae,M., Historia, ed. Becker. I., C.S.H.B., (Bonn 1853)

الثالث بوتانياتس Nichephoros III Botaneiates[1].

وأمد تاريخ أتالياتس البحث بمادة علمية غزيرة عن هجمات السلاجقة على آسيا الصغرى، وما تلى موقعة مانزيكرت من قيام العديد من حركات التمرد، واستعانة الأباطرة البيزنطيين والمتمردين بالأمراء السلاجقة وقواتهم العسكرية، وما حققه السلاجقة من جراء ذلك من مكاسب عديدة في آسيا الصغرى.

أما نقفور بريينيوس Nichephoros Bryennios ومؤلفه الذي يحمل عنوان «كتب التاريخ الأربعة Les Quatre Livres des Histories»[2]، فقد كان زوج أناكومنينا، وحفيد بريينيوس الثائر، ولد في أدريانوبل، وشارك في عدة حملات مع الكسيوس، وكان متحدثًا مقنعًا وبليغًا، اعتاد الكسيوس اللجوء إلى فصاحته وقوة إقناعه ضد خصومه، وحاولَتْأنا توليته العرش قبل وبعد وفاة الكسيوس لكنها فشلت، ورغم عدائه للإمبراطور يوحنا الثاني كومين John II Komnenos (١١١٨-١١٤٣م)-الذي خلف الكسيوس-إلا أنه شاركه في حملاته ضد مدينة أنطاكية التي توفي بعدها[3].

وذكر هذا المصدر العديد من المعلومات عن الهجمات السلجوقية الأولى على آسيا الصغرى، ثم تحدث عن التوغل السلجوقي في هذه المنطقة بعد موقعة مانزيكرت، واستعانة الأباطرة البيزنطيين بالسلاجقة للقضاء على حركات التمرد، وما ترتب على ذلك من سيطرة السلاجقة على أجزاء عديدة من آسيا الصغرى، وانفرد بذكر هجوم السلاجقة على القائد الكسيوس كومنين-الإمبراطور الكسيوس فيما بعد- أثناء عودته

---

(١) نقفور الثالث بوتانياتس، ينتمى لأسرة بوتانياتس الشهيرة التي تولى افرادها مهام الحكم والقيادة العسكرية في الدولة البيزنطية، وكان قائدًا لثغر الاناتوليك في آسيا الصغرى، ثم أعلن تمرده سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٧م وتولى العرش الإمبراطوري ويدعى أنه يعود نسبة إلى أسرة فوقاس الشهيرة.

Scylitzae, I., Exoerpta ex Breviaria Historica Ioannis Scylitzae Curopalatae, in: Cedrenus, 2 p. 726؛ Zonaras, J., Epitomae Historiarum, ed. Buttnerwobst, C.S.H.B., 3, (Bonn 1839), p. 715؛ O.D.B., I, 3 pp. 314-1479.

(2)Bryennios, N., Les Quatre Livers des Histoires, French Trans. Gregoire, H., B., 23 (1953), pp. 469-530, 27 (1957), pp. 881-926.

(3)Anna Comnena, Alexiad, p. 14؛ ODB, I, p. 331.

مع أسيره روسل باليل Russell Baillieul[1]. وكذلك محاولة بوتانياتس لكسب برينييوس إلى جواره ،بعد قيامه بالتمرد، بالوسائل السلمية وفشله في ذلك، وغير ذلك من حوادث التمرد.

يضاف إلى ذلك عدد من المصادر العربية والسريانية فضلاً عن المراجع والمقالات المتخصصة التي أفادت في عرض العديد من القضايا التي تناولها موضوع البحث سواء كانت باللغة العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية أو اللغة الألمانية.

******

(١) روسل باليل، قائد نورماني ينتمي لأسرة نورمانية نبيلة، التحق بالخدمة في الجيش البيزنطي في عهد الإمبراطور رومانوس الرابع (١٠٦٩-١٠٧١م) لكنه عمل بعد هزيمة مانزيكرت على استغلال الصراع بين السلاجقة والبيزنطيين لإقامة دولة نورمانية في آسيا الصغرى.

لمزيد من التفاصيل:

سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، صفحة مشرقة من تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، ج١، (القاهرة ١٩٩٣)، ص ٧٧؛ سميرة يونس عبد القادر، النورمان والدولة البيزنطية في القرن الحادي عشر الميلادي، (القاهرة ١٩٩٥)، ص ٨٣؛ نبيلة مقامي، العلاقات بين الدولة البيزنطية والنورمان في جنوب إيطاليا وصقلية من ١٠٢٥م – ١١٩٧م، رسالة دكتوراه غير منشورة- كلية الآداب- جامعة عين شمس، ١٩٨٩، ص ٨٣.